من ان يكون متعارضا قطبيا مع زمن الرواية المحكوم بتناقض محايث غير محلول · لذلك يعتقد هيجل ان نثر العصر البرجوازي جاء نتيجة انهيار نشاط الانسان العفوي وتحطم الكلية الجوهرية التي تربطه بالمجتمع · فالنثر هو شكل التعبير في زمان يئد عفوية الانسان ليحل مكانها عفوية القانون ومنطق الضرورة ، وشكل التعبير في زمان يبحث فيه الانسان عن كلية مفقودة ، فيقف معزولا هامشيا ، وبلا جوهر · يفقد جوهره ، وينفصل عن غايته، ويبتعد عن فعله · وعندما ينفصل الانسان عن جوهره ينفصل عن زمن الشعر أيضا ، وعن زمن الملحمة · لهذا عندما تصبح الرواية « ملحمة برجوازية » ترتدي سمات جديدة هي سمات تناقضها · لكن هيجل يحل هذا التناقض مثاليا عندما يصالح بين « جوهر » الرواية و « جوهر » الواقع ·

ان اتخاذ موقف صحيح ازاء شكل الرواية يستدعي موقفا نظريا صحيحا من التطور المتناقض للمجتمع الرأسمالي · وعدم وصول الفلسفة الكلاسيكية الالمانية الى هذا الموقف جعلها تقف عاجزة عن تطوير الجواب حتى آفاقه الضرورية نظريا · لم تصل الى الجواب الموائم بسبب عجزها عن اكتشاف التناقضات الاساسية للمجتمع الرأسمالي ، التناقضات بين الانتاج الاجتماعي والتملك الخاص · لا يلغي هذا العجز المساهمة الاصيلة لهذه الفلسفة في حقل نظرية الرواية · فقد اكتشفت وحدة الرواية والملحمة ، وضرورة استخلاص المقولات المشتركة لكل فن ملحمي عظيم ، الامر الذي تحقق عن طريق غوته ، شيلر . وشلنغ وهيجل · وتشير الدلالة العملية لهذه المقولات المشتركة الى ان كل عمل روائي عظيم ـ مهما كان تناقضه ـ ينزع الى الملحمة · وفي هذا النزوع المستحيل تكمن العظمة الشعرية لهذا العمل · كما اكتشفت هذه الفلسفة الفرق التاريخي بين الملحمة والرواية مكرسة بذلك الرواية كنوع فني نموذجي للمجتمع الحديث ·

حاولت الفلسفة الكلاسيكية أيضا ان تمايز الشكل الروائي ، أي ان تعطيه سمته الذاتية التي تفارقه عن الشكل الملحمي · تقوم الرواية في رأي غوته ـ مثلا ـ على تقديم مادة حديثة ومادة فكرية تتحركان وتتطوران ببطء ، الامر الذي يفرض ببطيء حركة الشخصية الاساسية (البطل) التي تتجه نحو نهاية معينة · ان سلبية البطل الروائي ـ هنا ـ هي ضرورةشكلية تهدف الى رسم وتطوير العالم الواسع الذي يحيط به ، لان الرواية لا تنهض على شخصية واحدة ومهيمنة بل تنزع الى احتضان كلية العالم المحيطة بالبطل · وفي ديالكتيك البطل والعالم المتناقض يتراجع دور البطل ، وتتوارى بطولته الغابرة ، تنمو « فرديته » وتتراجع بطولته · لهذا تعجز الرواية البرجوازية عن رسم « بطل ايجابي » ، بل تقع في استحالة الرسم ، لكنها ما تلبث ان تجد حلا وسطا ، فتصالح بين البطل والعالم·

تصالح الفلسفة الكلاسيكية بين الذات والواقع ، بين الانسان والعالم · تقدم حلا وهميا لتناقض حقيقي · فمصالحتها لا تعني الا هزيمة البطل أمام الواقع البرجوازي · يقول شلنغ : ان موضوع الرواية هو الصراع بين المثالية والواقعية ، أما عند هيجل فيصبح تربية الانسان كي يتقبل الواقع البرجوازي · ومع ان هيجل يدفع التناقض نحو المصالحة والممكن الا انه يدعو لاستعادة الشعر في زمن النثر ، استعادة لا تعني تعايشا جامدا وهجينا بين الشعر والنثر ، بل تطمح الى تشكيل العالم النثري بشكل شعري ، والنضال ضده · فاستعادة الشعر في زمن النثر يعني البحث عن كلية مفقودة ومواجهة لعالم اضاع لحظته الشعرية ·

ان مفهوم المصالحة الذي اعتمدته الفلسفة الكلاسيكية عكس نفسه على الشكل والمضمون